رؤوف رحيم

ولـمَّا لـمْ يجدْ رسولُ الله ﷺ في الطائف قلوبًا متقبِّلةً لدعَوته، ولا آذانًا تُصْغي لهدايته عاد إلى مكةَ المكرمةَ وهو مهمومٌ مما لاقاهُ من القَوم من عَنَت وجُحود، وتكْذيب وسَفاهة، فلم يَسْتَفق الرسولُ ﷺ إلا وهو بـ(قَرْن الثَّعالب)، فرفعَ رأسَه فإذَا هوَ بسحابة قدْ أظلَّتْه، وإذا فيهَا جبريلُ عليه السلامُ. قال ﷺ: «فناداني فقالَ: إنَّ اللهَ قد سمعَ قولَ قومكَ لكَ، وما ردُّوا عليكَ، وقد بعثَ إليكَ ملَكَ الجبال، لتأمرَه بما شئتَ فيهم.

قالَ: فناداني مَلَكُ الجبال وسلّم علَي، ثمَّ قالَ:

- يا محمدُ، إنَّ اللهَ قد بعثني إليكَ، وأنَا مَلَكُ الجبالِ لتأمرَني بأمرِك، إن شئتَ أطْبقُ عليهمُ الأخشَبَيْنِ[1].

فقالَ رسولُ الله ﷺ:

- بل أرجُو أن يُخرجَ اللهُ من أصلابِهم منْ يعبدُ اللهَ وحدَه ولا يشركُ به شيئًا.

---

(١) الأخشبان: جبلان في مكة المكرمة.

فقالَ مَلَكُ الجبالِ: أنتَ كمَا سمَّاك ربُّك رؤوفٌ رحيمٌ

* * *

ورجعَ الرسولُ ﷺ إلى مكةَ فقالَ لهُ زيدُ بنُ حارثةَ:

- كيفَ تدخلُ عليهم وقد أخرجوكَ؟

فقالَ:

- يا زيدُ إنَّ الله جاعلٌ لما ترى مخرجًا.

ثمَّ توجَّهَ بعدَ ذلكَ إلى حراءَ وأرسلَ زيدَ بن حارثَة إلَى الأخنسِ ليجيرَه فأبَى، ثم بعثَهُ إلى سُهيلٍ فأبَى أيضًا، ثمَّ بعثَه إلى المطعم بن عديٍّ فأجابَه المطعمُ إلى هذا الجوار. وخرجَ المطعمُ يعلنُ ذلكَ أمامَ المشركينَ فقدْ تسلَّحَ ودعَا بنيه وقومَه فقالَ: البسُوا السلاحَ، وكونُوا عندَ أركان البيت؛ فإنِّي قد أجَرْتُ محمداً.

ثمَّ قامَ المطعمُ بنُ عديٍّ علَى راحلته ونادَى: يا معشرَ قريشٍ، إنِّي قد أجرتُ محمداً فلا يهجُوه أحدٌ منكم.

فدخلَ رسولُ الله ﷺ إلى البيت الحرام واستلمَ الركنَ وصلَّى ركعتين، وانصرفَ إلى بيته، ومطعمُ بنُ عديٍّ وولده مُحْدِقُونَ به بالسلاحِ حتَّى دخلَ بيتَه.

وقد حَفظَ الرسولُ ﷺ للمطعم هذا الصنيع، فقالَ في أسارَى بدر: لو كانَ المطعمُ بنُ عديٍّ حيّا ثمَّ كلَّمني في هؤلاء لتركتُهم لهُ.

إنَّهُ الوفاءُ الذي يَضربُ فيه الرسولُ ﷺ أروعَ الأمثالِ.

obeikandl.com